تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 51- سورة غافر | من الأية 75 إلى 95

عبدالرحمن العجلان

ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون الاية جاءت بعد قوله تعالى ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم - 00:00:01

ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم هم - 00:00:32

كفار مكة ومن على شاكلتهم ممن ينكر البعث وينكرون وحدانية الله جل وعلا فالله جل وعلا يقول لخلق لخلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس المشركون يعترفون ان الله جل وعلا هو الذي خلق - 00:00:57

الناس وان الله جل وعلا هو الذي خلق السماوات وان الله جل وعلا هو الذي خلق الارض هذا الشيء يؤمنون به ولا ينكرونه ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله - 00:01:33

يعترفون بهذا وينكرون البعث يقولون مستحيل بعد ان تتفتت الاجسام بالتراب وتضيع فيه وربما تكون الاجسام في قعر البحر او في جوف الطير او جوف السباع او غير ذلك يقول الله جل وعلا ردا عليهم - 00:01:56

لخلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس. ايهما اكبر وايهما اشق من حيث النظر بالنسبة للخلق خلق الاشياء العظائم السماوات والارض خلق الاشياء الصغيرة الحقيرة كابن ادم لا شك ان خلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس - 00:02:30

والله جل وعلا لا يعجزه شيء ولا يقال هذا اشق على الله او هذا اخف على الله لان الله جل وعلا كل شيء عنده سهل ميسور انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون - 00:03:01

لكن من حيث النظر بالنسبة للمخلوقات والايجاد والتصرف ايهما اكبر اشد لا شك ان خلق السماوات والارض اكبر اذا فالقادر على خلق السماوات والارض اولا على غير مثال سبق اليس قادرا من باب اولى على اعادة خلق الاجسام ثانيا - 00:03:27

فهذا الزام للكفار في الاقرار بالبعث وانه لا يسعهم انكاره. ما دام انهم يعترفون ان الله هو الذي خلق السماوات والارض والقادر على هذا قادر على اعادة خلق بني ادم وغيرهم - 00:04:03

مرة ثانية من باب اولى وايجاد الشيء اول مرة لا شك انه اكبر من اعادة خلقه مرة ثانية وهم يعترفون ان الموجد للخلق هو الله جل وعلا فاذا بعد الفناء - 00:04:31

الخلق مرة ثانية سهل والله لا يعجزه شيء لخلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون الكثير من الناس لا يعلمون ما ينفعهم. لا يعلمون ما فيه سعادتهم - 00:04:55

لا يعلمون ما فيه فلاحهم في الاخرة قد يقال ما داموا لا يعلمون فكيف يكلفون تقول هم يعلمون علوم الدنيا وعندهم عقول لكنهم لم يستعملوا عقولهم فيما ينفعهم كما قال الله جل وعلا يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة غافلون - 00:05:23

وهم من حيث العقول التي يدركون بها المعقولات والمعلومات عندهم عقول لكنهم لم يستعملوها فيما ينفعهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون وهذا يجعل المرء لا يغتر بالكثرة لان الكثرة غالبا - 00:06:01

على الضلال والقلة على الحق كما قال الله جل وعلا وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهنا يقول ولكن اكثر الناس لا يعلمون

ويقول الله جل وعلا وقليل من عبادي الشكور - 00:06:29
وقد سمع عمر رضي الله عنه رجلا يدعو ويقول اللهم اجعلني من القليل اللهم اجعلني من القليل فاستدعاه وسأله قال نعم اطلب من ربي جل وعلا ان يجعلني من الشاكرين لانهم القلة - 00:06:55
وقليل من عبادي الشكور وقال جل وعلا في الاية الاخرى اوليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم اجاب جل وعلا بقوله بلى وهو الخلاق العليم قال بعض المفسرين رحمهم الله - 00:07:14
هذه الاية رد على اليهود حيث زعموا ان المسيح الدجال يوجد في اخر الزمان وانه منهم وان اكثر من معه اليهود وان معه من الايات الباهرة الشيء الكثير وانهم بوجوده - 00:07:42
يغلبون الناس ويغلبون المسلمين وانه تكون له الغلبة والسيطرة في الارض ولا شك ان المسيح الدجال كما ورد في الاحاديث الصحيحة يكون في اخر الزمان وانه يدخل جميع البلاد سوى مكة والمدينة - 00:08:13
ويجعل الله جل وعلاها حراسا من الملائكة لا يستطيع دخولها ومن معه وانه يقتل بيد عيسى ابن مريم على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام فهو يكون في اخر الزمان وقد امرنا النبي صلى الله عليه وسلم - 00:08:37
في الاحاديث الصحيحة ان نستعيذ بالله من فتنته وامرنا صلى الله عليه وسلم امر السحباب ان نستعيذ بالله من فتنة المسيح الدجال في كل تشهد في الصلاة قبل السلام ان نقول - 00:09:00
اللهم اني اعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال فهو يفتن الناس ويصرف كثيرا من الناس عن دينهم بما اعطي من الامور التي تفتن الناس وتظلهم الا من ثبته الله على الحق - 00:09:20
وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان اكثر من يتبعه اليهود عليهم لعنة الله وان النبي صلى الله عليه وسلم وكذا الانبياء السابقون حذروا منه حتى قال بعض الصحابة ظننا انه حول المدينة من شدة ما حذرنا - 00:09:46
منه النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان يكون وانا فيكم فانا حجيجه عنكم وان يكن بعد ذلك بعد موته صلى الله عليه وسلم فكل امرئ حجيج نفسه يعني يحاج - 00:10:14
وعن نفسه ويجادل عن نفسه بسم الله الرحمن الرحيم يقول تعالى منبها على انه يعيد الخلائق يوم القيامة وان ذلك سهل عليه يسير لديه لانه خلق السماوات والارض وخلقهم اكبر من خلق الناس - 00:10:32
بدأ بداءة واعادة فمن قدر فمن قدر على فداعة يعني خلقها اول واعادة الخلق مرة ثانية للبعث فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريقة الاولى والاحرى كما قال تعالى - 00:10:54
او لم يروا ان الله الذي خلق السماوات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر قادر على ان يحيي الموتى. بلى انه على كل شيء قدير وقال ها هنا لخلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس - 00:11:16
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها كما كان كثيرا من العرب يعترفون بان الله خلق السماوات والارض وينكرون الميعاد استبعادا وكفرا وعنادا. وقد اعترفوا بما هو اولى مما انكروا - 00:11:37
ثم قال وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء لما قال جل وعلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقال جل وعلا ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم - 00:12:04
ان في صدورهم الا كبر ما هم في ما هم ببالغيه. قال تعالى مثالا لهؤلاء الذين لا يعلمون ومثالا للذين يجادلون بالباطل بمثال محسوس يدركه الناس كلهم قال تعالى وما يستوي الاعمى والبصير - 00:12:26
ما يستوي الاعمى والبصير وهذا كل يدرك ذلك الاعمى الذي لا يبصر الطريق هل يستوي هو من يمشي على هدى وبصيرة بنظر لا يستويان فكذلك من يتخبط في ظلمات الجهل - 00:12:51
والضلال والكفر والعناد والمجادلة بالباطل هل يستوي هو من يأخذ في الكتاب والسنة. ويجعلهما اماما له يسير على نهجهما لا يستويان وما يستوي الاعمى والبصير قد يقول قائل اليس البصير افضل من الاعمى - 00:13:16

اليس المستقيم اهدى واحسن من الظال المنحرف يقال بلى فيقال لم قدم الله جل وعلا الاعمى وقال وما يستوي الاعمى والبصير نقول نعم قدمها مجانسة ولمقاربة ما قبلها حيث قال جل وعلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون - 00:13:49

الاكثرون هؤلاء من يشبهون بمن الاعمى ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما يستوي الاعمى يعني ما يستوي هؤلاء الجهال الظلام ومن يسير على هدى وبصيرة وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء - 00:14:22

لا يستويان لا يستوي الذين امنوا اتصفوا بصفة الايمان والتصديق الجازم وصدقوا ايمانهم بالعمل الصالح لا يستويان واذا ذكر الايمان والعمل الصالح معا فالمراد بالايمان عمل القلب والعمل الصالح عمل الجوارح - 00:14:56

واذا ذكر احدهما شمل الامرين الايمان اذا ذكر وحده فهو قول وعمل واعتقاد قول باللسان وعمل بالجوارح واعتقاد بالقلب واذا ذكر العمل الصالح وحده فهو يشمل الايمان كذلك لان العمل لا يكون صالحا ومفيدا الا اذا اتصف صاحبه - 00:15:24

الايمان والتصديق اما عمل المنافق فهو ليس بصالح ولا يقال له صالح وان صلى وصام وتظاهر بالاسلام فعمله ليس بصالح لانه منافق ما هناك ايمان بالقلب وهنا بدأ بالذين امنوا وعملوا الصالحات قدمهم على المسيء بعكس السابق - 00:16:01

نقول نعم لان الله جل وعلا ذكر قبل ذلك البصير وما يستوي الاعمى والبصير والبصير من هو هو الذي امن وعمل صالحا ولا المسيء الذي اساء وظلم في عمله واعتقاده وقوله لا يستويان عند الله جل وعلا - 00:16:32

قال بعض العلماء رحمهم الله والتقابل يجيء على ثلاث طرق ما المراد بالتقابل التقابل كقولنا الاعمى والبصير والظلمات والنور الظلمات والجهل والعلم والايمان وهكذا الاوصاف المتقابلة او الذوات المتقابلة ليل نهار - 00:17:02

عمى بصر سامع صمم وهكذا التقابل يجيء على ثلاث طرق احداها ان يجاور المناسب المناسبة يأتي باللفظ للذي يناسب ما قبله وهنا قال وما يستوي الاعمى والبصير وما والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء - 00:17:34

جاء بالذين امنوا وعملوا الصالحات مواليا للبصير. لانه مناسب له يأتي وضع المناسب بجوار المناسب الذين امنوا وعملوا الصالحات جاء بعد البصير كهذه ان يجيء المناسب بعد ما يناسبه كهذه الاية الكريمة - 00:18:14

والثانية ان يتأخر المتقابلان كقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصيري والسميع هنا ما جاء المناسب بعد المناسب وانما جاء من نوعين الاولين معا ثم بظديهما الاعمى والاصم ما هو ضداهما - 00:18:45

البصير والسميع ان يتأخر المتقابلان يأتي الاسمين الاولين معا ثم يأتي بما يقابلهما معا الاعمى والبصير الاعمى والاصم والبصير والسميع والثالثة ان يقدم مقابل الاول ويؤخر مقابل الاخر كقوله تعالى - 00:19:24

وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ان يقدم مقابل الاول وما يستوي الاعمى ما الذي يقابله البصير وما يستوي الاعمى والبسيط ولا الظلمات ما الذي يقابله النور يعني ان يأتي بالشيء - 00:20:04

في الوصفين معا ثم ياتي بما يناسب الثاني ليكون المقابل بجواري مجالسه كالاية التي معنا وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات. فالذين امنوا وعملوا الصالحات جاء بعد البصير لانه يناسبه - 00:20:30

الحالة الثانية ان يأتي بالاسمين معا ثم يأتي بما يقابلهما على النسق السابق لقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم ما الذي يقابل الاعمى البصير وما الذي يقابل الاصم السم السميع؟ فقال مثل الفريقين كالاعمى والاصم - 00:21:03

والبصير والسميع. والحال الثالثة ان يقدم مقابل الاول. ثم يأتي بعده بمقابل الاخر وقال وما يستوي الاعمى ما الذي يقابله البصير ولا الظلمات ما الذي يقابله النور قليلا ما تتذكرون او قليلا ما يتذكرون. قراءتان سبعيتان - 00:21:34

يعني تذكرهم قليل والا فالايات الدالة على العظة والعبرة والتذكر واضحة بينة لكن من لم يستعمل فكرة وذهن فيما ينفعه لا يستفيد من الايات والعبر قليلا ما يتذكرون او قليلا ما تتذكرون - 00:22:08

الياء للغيبة قليلا ما يتذكرون لانه غيب او قليلا ما تتذكرون خاطبهم بذلك ثم قال جل وعلا ان الساعة لاتية نعم اقرأها وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيئين - 00:22:37

اي كما لا يستوي الاعمى الذي لا يبصر شيئا والبصير الذي يلعب والبصير الذي يرى ما انتهى اليه بصره بل بينهما فرق عظيم. كذلك لا

يستوي المؤمنون الابرار والكفرة والفجار - 00:22:59
لما تتذكرون اي ما اقل ما يتذكر كثير من الناس كثير من الناس قليل تذكرهم يعني ما يستفيدون من الايات والعبر ولا يتعظون ولا يتنورون والعاقل من استفاد من ايات الله جل وعلا الدالة على وحدانيته. واستفاد من مخلوقات الله جل وعلا الدالة - 00:23:18
على عظمة الله وعلى كمال قدرته سبحانه وتعالى فالمؤمن يستفيد ويتعظ يحمد الله جل وعلا على النعمة ويصبر ويحتسب في البأساء والضراء ويعتبرها عظة وموعظة ولا يكن المرء كالبهيمة لا يدري - 00:23:49
لما قدم له الطعام ولا فيما منع منه كأنه بهيمة بيدي راع وانما المؤمن يتعظ من الاحوال يتدبر ما حوله ويحمد الله جل وعلا عند تجدد النعم ويصبر على وجود البلايا والنقم ويحتسب ذلك - 00:24:19
ثم اذا حصل له مصيبة فتش في نفسه ما جاءته هذه المصيبة الا بسبب تقصير منه فينظر في نفسه ويراجع عمله ويتوب الى الله جل وعلا من اخطائه وقد تكون المصيبة رفعة درجات له في الدار الاخرة فيحتسب ذلك عند الله جل وعلا - 00:24:52
ان عظم الجزاء ما عظم البلاء وان الله جل وعلا اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا من سخط فله السخط قوله جل وعلا ان الساعة لاتية لا ريب فيها - 00:25:21
هذا خبر مؤكد من الله جل وعلا لان الساعة اتية القيامة اتية لا محالة وان انكرها الكثير من الناس كما قال الله جل وعلا زعم الذين كفروا ان لا يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم - 00:25:43
ذلك على الله يسير ان الساعة لاتية اتية لا محالة وكل ات قريب ولا يعلم مجيئها ووقته الا الله جل وعلا ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك كثير من الناس كما قال الله جل وعلا انهم الا كالانعام بل هم اضل - 00:26:07
وقد يقول قائل كيف يقال عنهم انهم اضل وعندهم الاختراعات وعندهم البصيرة والمعرفة وتدبير شؤون يقال نعم هم اضل فيما ينفعهم فيما يتعلق بالاخرة. وان علموا شيئا من امور الدنيا - 00:26:36
فعلمهم بامور الدنيا من باب اقامة الحجة عليهم. لان الله جل وعلا وهبهم العقول والادراك والمعرفة لكنهم لم يستعملوا عقولهم فيما ينفعهم ان الساعة لاتية لا ريب فيها. يعني لا شك - 00:26:59
وهي واقعة لا محالة ولكن اكثر الناس لا يؤمنون الكثير من الناس لا يؤمنون بالاخرة ولا يؤمنون بالبعث ولا يؤمنون الحساب ولا يؤمنون بالجنة والنار وذلك حق وواقع لا محالة وان كفر به الكثير من الناس فلا يغتر المرء بالكثرة - 00:27:21
ان الساعة لاتية اي لكائنة واقعة لا ريب يكذبون بوجودها قال ابن ابي حاتم عن شيخ قديم من اهل اليمن قدم من ثم قال سمعت ان الساعة اذا دنت اشتد البلاء على الناس واشتد حر الشمس - 00:27:49
هذا من امارات الساعة والله اعلم. والنبي صلى الله عليه وسلم اخبرنا عن امارات الساعة ومن امارات ساعة بعثته صلى الله عليه وسلم فهو عليه الصلاة والسلام بعثته من علامات الساعة - 00:28:14
لانه هو اخر الانبياء. فلا نبي بعده. ويقول صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه السبابة والوسطى يعني مجيء الساعة بعد بعثته صلى الله عليه وسلم وهناك امارات قريبة من الساعة كوجود - 00:28:35
المسيح الدجال وفتنته ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام وقتله للمسيح الدجال وحكمه بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومما اخبر صلى الله عليه وسلم من امارات الساعة ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاي يتطاولون في البنيان. وكل هذا موجود - 00:28:59
ما بقي الا الامارات العظيمة الكبيرة وهي وجود المسيح الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام وخروج الدابة التي يخاطب الناس وتكلمهم تقول هذا مسلم وهذا كافر الامارات الاخر التي بين يدي الساعة - 00:29:29
وهي ومجيئها محقق لا شك فيه. ومن ينكره كافر. لان الايمان باليوم الاخر من اصول الايمان من اصول الايمان ومن لم يؤمن به فهو كافر. كما قال الله جل وعلا زعم الذين كفروا ان لا يبعثوا قل بلى وربي - 00:29:56
تبعثن فمن ينكر البعث فهو كافر بالله. والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين -